لما جاء بحقيقة صفتهم عقبها بضرب المثل زيادة في الكشف وتتميما للبيان ولضرب العرب
الامثال واستحضار العلماء المثل والنظائر شان ليس بالخفي في ابراز خبيات المعاني
ورفع الاستار عن الحقائق حتى يريك المتخيل في صورة المتحقق والمتوهم في معرض
المتيقن والغائب كانه شاهد وفيه تبكيت للخصم الالد وقمع لسورة الجامح الابي ولامر
ما اكثر الله في كتابه المبين وفي سائر كتبه امثاله وفشت في كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم
وكلام الانبياء صلوات الله عليهم وكلام الحكماء قال الله تعالى وتلك الامثال نضربها للناس وما
يعقلها الا العالمون ومن سور الانجيل سورة الامثال والمثل في اصل كلامهم بمعنى
المثل وهو النظير يقال مثل ومثل ومثيل كشبه وشبه وشبيه ثم قيل للقول
السائر الممثل مضربه بمورده ولم يضربوا مثلا ولا راوه اهلا للتسيير
ولا جديرا بالتداول والقبول الا قولا فيه غرابة من بعض الوجوه ومن ثم
حوفظ عليه وحمي من التغيير **فان قلت** ما معنى مثلهم كمثل الذي استوقد
نارا وما مثل المنافقين ومثل الذي استوقد نارا حتى شبه احد المثلين
بصاحبه **قلت** قد استعير المثل استعارة الاسد للمقدام للحال
او الصفة او القصة اذا كان لها شان وفيها غرابة كانه قيل حالهم العجيبة الشان
كحال الذي استوقد نارا وكذلك قوله مثل الجنة التي وعد المتقون اي وفيما قصصنا
عليك من العجائب قصة الجنة العجيبة ثم اخذ في بيان عجائبها ولله المثل الاعلى اي الوصف الذي له
شان من العظمة والجلالة مثلهم في التوراة اي صفتهم وشانهم المتعجب منه ولما في المثل من معنى
الغرابة قالوا فلان مثلة في الخير والشر فاشتقوا منه صفة للعجيب الشان **فان
قلت** كيف مثلت الجماعة بالواحد **قلت** وضع الذي موضع الذين
ولم يجمعوا ولم يسيغوا وضع القائم موضع القائمين ولا نحوه من الصفات امران
احدهما ان الذي لكونه وصلة الى وصف كل معرفة بجملة وتكاثر وقوعه في كلامهم
ولكونه مستطالا بصلته حقيق بالتخفيف ولذلك نهكوه بالحذف فحذفوا ياءه
ثم كسرته ثم اقتصروا منه على اللام وحدها في اسماء الفاعلين والمفعولين والثاني ان جمعه ليس
بمنزلة جمع غيره بالواو والنون انما ذلك علامة لزيادة الدلالة الا ترى ان سائر
الموصولات لفظ الجمع والواحد فيهن واحد وقصد جنس المستوقد وذوا
لم يشبهوا بذات المستوقد او اريد الجمع او اريد الفوج وتشبيه الجماعة بالواحد كانه
قصتهم بقصة المستوقد ونحوه قوله مثل الذين حملوا التوراة ثم لم
يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفارا وقوله ينظرون اليك نظر المغشي عليه من الموت
ووقود النار سطوع النار وارتفاع لهبها ومنه احوانه وقلة الجبل اذا صعده
وعلا والنار جوهر لطيف مضيء حار محرق والنور ضوءها وضوء كل نير
وهو نقيض الظلمة واشتقاقها من نار ينور اذا نفر لان فيها حركة
واضطرابا والنور مشتق منها والاضاءة فرط الانارة ومصداق ذلك قوله
تعالى هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وهي في الاية متعدية ويحتمل
ان تكون غير متعدية مسندة الى ما حوله والتانيث للحمل على المعنى لان ما حوله

المستوقد

المستوقد اماكن واشياء ويعضده قراءة ابن ابي عبلة ضاءت وفيه وجه اخر وهو ان
يستتر في الفعل ضمير النار ويجعل اشراق ضوء النار حوله بمنزلة اشراق النار
نفسها على ان ما مزيدة او موصولة في معنى الامكنة وحوله نصب على الظرف
وتاليفه للدوران والاطافة وقيل للعام حول لانه يدور فان قلت اين جواب لما
قلت فيه وجهان احدهما ان جوابه ذهب الله بنورهم والثاني انه محذوف كما حذف
في قوله فلما ذهبوا به وانما جاز حذفه لاستطالة الكلام مع امن الالباس للدلالة عليه
وكان الحذف اوجز من الاثبات لما فيه من الوجازة مع الاعراب عن الصفة التي حصل
عليها المستوقد بما هو ابلغ من اللفظ في اداء المعنى كانه قيل فلما اضاءت ما حوله خمدت
فبقوا خابطين في ظلام متحيرين على فوت الضوء خائبين بعد الكدح في احياء النار
فان قلت فاذا قدر الجواب محذوفا فبم يتعلق ذهب الله بنورهم قلت يكون كلاما
مستانفا كانهم لما شبهت حالهم بحال المستوقد الذي طفئت ناره اعترض سائل فقال
ما بالهم قد اشبهت حالهم حال هذا المستوقد فقيل له ذهب الله بنورهم او يكون بدلا
من جملة التمثيل على سبيل البيان فان قلت قد رجع الضمير في هذا الوجه الى المنافقين
فما مرجعه في الوجه الثاني قلت مرجعه الذي استوقد لانه في معنى الجمع واما جمع
هذا الضمير وتوحيده في حوله فللحمل على اللفظ تارة وعلى المعنى اخرى فان قلت
فما معنى اسناد الفعل الى الله تعالى في قوله ذهب الله بنورهم قلت اذا طفئت النار
بسبب سماوي ريح او مطر فقد اطفاها الله وذهب بنور المستوقد ووجه اخر
وهو ان يكون المستوقد في هذا الوجه مستوقدا نارا لا يرضاها الله ثم اما ان
تكون نارا مجازية كنار الفتنة والعداوة للاسلام وتلك النار متقاصرة مدة
اشتعالها قليلة البقاء الا ترى الى قوله كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله واما
نارا حقيقية اوقدها الغواة ليتوصلوا بالاستضاءة بها الى بعض المعاصي ويهتدوا
بها في طرق العبث فاطفاها الله وخيب امانيهم فان قلت كيف جاز في النار
المجازية ان توصف باضاءة ما حول المستوقد قلت هو خارج على طريقة المجاز
المرشح فاحسن تدبره فان قلت هلا قيل ذهب الله بضوئهم لقوله فلما اضاءت
قلت ذكر النور ابلغ لان الضوء فيه دلالة على الزيادة فلو قيل ذهب الله بضوئهم
لاوهم الذهاب بالزيادة وبقاء ما يسمى نورا والغرض ازالة النور عنهم راسا وطمسه
اصلا الا ترى كيف ذكر عقيبه وتركهم في ظلمات والظلمة عبارة عن عدم النور وانطماسه
وكيف جمعها وكيف نكرها وكيف اتبعها ما يدل على ظلمة مبهمة لا يتراءى فيها شبحان
وهو قوله لا يبصرون فان قلت فلم وصفت بالاضاءة قلت هذا على مذهب
قولهم للباطل صولة ثم يضمحل ولريح الضلالة عصفة ثم تخفت ونار العرفج مثل للنزوة
كل طماح والفرق بين اذهبه الله وذهب به ان معنى اذهبه ازاله وجعله ذاهبا ويقال
ذهب به اذا استصحبه ومضى به معه وذهب السلطان بماله اخذه فلما ذهبوا به
اذا لذهب كل اله بما خلق ومنه ذهبت به الخيلاء والمعنى اخذ الله نورهم وامسكه وما
يمسك الله فلا مرسل له فهو ابلغ من الاذهاب وقرا اليماني اذهب الله نورهم وترك
بمعنى طرح وخلى اذا علق بواحد كقولهم تركه ترك ظبي ظله فاذا علق بشيئين كان مضمنا

Copyright King Saud University